

# سورة الإسراء

(الآيات: 66 - 69)

الدرس  
17

## أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف الغاية من امتنان الله تعالى بنعمه على الإنسان.
- 2- أن أستنتج المقصد من تهديد الله سبحانه للإنسان بالجود.
- 3- أن تمثل نعم الله علي لأشكره عليها.

## تمهيد

لما ذكر الله تعالى في الآيات السالفة قصة إبليس، بين سبحانه في هذه الآيات بعض نعمه على الإنسان، وأقام أدلة واضحة على قدرته وعظيم سلطانه؛ ثم بين أن الإنسان مجبول على مقابلة نعم ربه بالإنكار والجود، فإذا مسه ضرر دعا ربه والتجأ إليه، وإذا كشف عنه ضرره انغمس في الشهوات وغفل عن طاعة ربه.

فما هي النعم التي تفضل الله سبحانه بها على الإنسان؟ وما هي عاقبة من قابل تلك النعم بالجود والنكران؟

## الآيات

قال الله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْغُلَامَ وَالْبَحْرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٦٦ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِثْلَهُ نَادِيَهُ إِلَىٰ آلِهَاتِهِ فَلَمَّا نَجَّيَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ آلِهَتُكُمْ جُبُورًا ۝٦٧ أَفَأَمْسَلْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ

جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكُفْرَ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ  
يُعِيدَ كُفْرَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مَتَى الْريِّحُ يَبْغُرُكُمْ  
بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكُفْرَ عَلَيْنَا يَدًا تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ [سورة الإسراء: 66 - 69]

## الفهم

الشرح :

يُزَجِّجُ : يسوق سوقا ثقيل السير .

يَخْشِفُ : يغيب في التراب .

حَاصِبًا : ريحا شديدة .

قَاصِبًا : ريحا لها صوت شديد .

تَبِيعًا : نصيرا يطلب ثأرا .

استخلاص المضامين :

1- ما هي نعم الله تعالى على الإنسان التي تضمنتها الآيات؟

2- ماذا جدد الإنسان في هذه الآيات؟

## التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

**أولا: نعم الله تعالى على الإنسان في البحر:**

لما أجرى الله تعالى الكلام في الآيات السابقة على الإنذار والتحذير، أورد في هذه الآيات استدلالا على صحة ذلك، فقال سبحانه: ﴿رَبُّكُمْ إِلَهٌ يَزِجُ لَكُمْ الْبُلْدا فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ قَضَائِهِ﴾

قوله: ﴿يُزَيِّجُ﴾ يسوق سوقاً ثقيل السير إما لضعف أو ثقل حمل أو غيره، فالإبل الضعاف تزجي، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزَيِّجُ سَعَابًا﴾ [النور: 42]، والبضاعة المزجاة هي التي تحتاج لاختلالها أن تساق بشفاعة وتدفع بمعاون إلى الذي يقبضها، وإزجاء الفلك: سوقها من مكان إلى مكان بالرياح اللينة والمجاذيف، والفلك هنا جمع لا مفرد. و﴿الْبَحْرُ﴾: الماء الكثير عذبا كان أو ملحا، وقد غلب الاسم على هذا المشهور. وقوله تعالى: ﴿لَتَبْتَغُوا مَرْقَضًا﴾ لفظ يعم التجارة وطلب الأجر في حج ونحوه. وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله على عباده. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ " حيث هيا لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه " [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 261/3].

وبعد أن ألزم الله تعالى المشركين الحجة على استحقاقه تعالى الإلهية، أعقب ذلك ببيان إقرارهم بانفراده سبحانه بالتصرف حال اضطرابهم، ثم تعجب سبحانه من مناقضتهم أنفسهم عند نجاتهم وزوال اضطرابهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّيْتُمْ تَدْعُونَ إِلَٰهَآئًا﴾ الضر: لفظ يعم خوف الغرق، والامتسك في المشي، وأهول حالاته اضطرابه وتموجه. وقوله: ﴿ضَلَّ﴾ معناه تلف وفقد، وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلها من دون الله. والمعنى في هذه الآية: أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة وأن لها فضلا، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعة أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر.

ثم ذكر الله تعالى حالهم إذ كشف عنهم تلك الشدائد ونجاهم وفرج عنهم ووصلوا إلى البر من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة إنجائهم من الغرق فقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَكُمْ إِلَى الْبَرِّ آغْرَضْتُكُمْ وَكَانَ إِلَٰهُكُمْ جُبُورًا﴾ قوله: ﴿آغْرَضْتُكُمْ﴾ أي: لم تفكروا في صنع الله وقت حاجتكم إليه. و﴿إِلَٰهٌ نَسَلٌ﴾ هنا للجنس، وهو مفيد للاستغراق؛ إذ كل أحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب. وقوله: ﴿كَبُورًا﴾ أي: كفورا بالنعمة.

## ثانيا: جحود الإنسان نعم الله:

بعد بيان الله سبحانه سخافة عقول الكفار، وأنهم إذا وصلوا إلى البر ونجوا من هول البحر

رجعوا إلى كفرهم آمنين عذاب الله، خوفهم بقدرته العظيمة فقال سبحانه: ﴿أَقَامْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ الهمزة في ﴿أَقَامْتُمْ﴾ للإنكار. و﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ أن يغيب في التراب. الحاصب: العارض الرامي بالبرد والحجارة ونحو ذلك، ومنه الحاصب الذي أصاب قوم لوط. والحصب: الرمي بالحصباء، وهي الحجارة الصغار. والوكيل: القائم بالأمور.

والمعنى: أفأمنتم أيها المعرضون الناسون الشدة حين صرتم إلى الرخاء أن يخسف الله بكم مكانكم من البر إذا أنتم في قبضة القدرة في البحر والبر.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿يَخْسِفُ﴾ بالياء على معنى يخسف الله، وكذلك ﴿قَبْرُوسٍ﴾ و﴿يُعِيدُ﴾ و﴿يُرْسِلُ﴾ و﴿يَغْرِفُكُمْ﴾، وقرأ أبو جعفر ومجاهد "تغرقكم" بتاء الخطاب مسندا إلى الريح.

وقوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِفَكُم بِمَا كُفَرْتُمْ﴾ "أم" في ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ منقطعة تقدر بـ "بل والهمزة"، فهي للإضراب الانتقالي أي: بل أمنت. والقاصف الذي يكسر كل ما يلقي ويقصفه. و﴿تَارَةً﴾ جمعها تارات وتير، معناه: مرة أخرى. والباء في ﴿بِمَا كُفَرْتُمْ﴾ سببية و"ما" مصدرية، أي: بسبب كفركم السابق منكم ﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهِ تَبِعًا﴾ التبعية: النصير الذي يطلب ثأرا أو ديناً. ومن هذه اللفظة قول النبي عليه السلام: "إذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" [صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني...] فالمعنى: لا تجدون من يتبع فعلنا بكم، ويطلب نصرتكم.

### ثالثاً: مقاصد الآيات:

- ترشد هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية، يمكن إجمالها فيما يأتي:
- تأكيد الله سبحانه على وحدانيته واستحقاقه العبادة دون سواه؛ ذلك أن المقصد الأعظم في القرآن الكريم هو تقرير دلائل التوحيد.
- تذكير العباد بأن الله هو الذي يضمن أمن الإنسان وسلامته في البر والبحر، حينما يلتجئ إليه بالاستغاثة والدعاء دون سواه.

• بيان فضل الله تعالى وجوده على عباده، حيث لم يعاقبهم بما عاقب من قبلهم.

## التقويم

- 1 - لماذا امتن الله تعالى على الإنسان بنعمه وآلائه؟
- 2 - أبين المقصد من تهديد الله تعالى الإنسان الكفور؟
- 3 - هل التعريف في ﴿الْإِنْسِلَى﴾ يفيد الاستغراق الحقيقي أم العرفي؟ وهل لذلك أثر في معنى الآية؟

## الاستثمار

" وَلَمَّا كَانَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ مُتَوَقِّفًا عَلَى تَذَكُّرِ النِّعْمَةِ كَانَتْ شَوَاغِلُهُ عَنْ تَذَكُّرِ النِّعْمِ الْمَاضِيَةِ مُغْطِيَةً عَلَيْهَا، وَلِأَنَّ مُدْرَكَاتِ الْحَوَاسِّ مِنْهَا الْمَلَائِمُ لِلنَّفْسِ وَهُوَ الْغَالِبُ، وَمِنْهَا الْمُنَافِرُ لَهَا. فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَدْرَكَ الْمَلَائِمَ لَمْ يَشْعُرْ بِقُدْرَةٍ عِنْدَهُ لِكَثْرَةِ تَكَرُّرِهِ حَتَّى صَارَ عَادَةً فَذُهِلَ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ، فَإِذَا أَدْرَكَ الْمُنَافِرَ اسْتَذَكَّرَ فَقَدَانَ الْمَلَائِمِ فَضَجَّ وَضَجِرَ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّيْنَاهُ بَاجُنَاحٍ، وَإِذْ آمَسَّهُ الشَّرَّكَانَ يَغُوسٌ ۖ﴾ [فصلت: 50]. وَلِهَذَا قَالَ الْحُكَمَاءُ: الْعَافِيَةُ تَاجٌ عَلَى رُؤُوسِ الْأَصْحَاءِ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمَرْضَى. فَهَذَا الْإِعْتِبَارُ هُوَ الَّذِي أَشَارَتْ لَهُ الْآيَةُ ﴿وَإِذْ آمَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِمَّنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآئَنَا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ شَكُورًا ۖ﴾ [الإسراء: 67] مَعَ اللَّيِّ بَعْدَهَا وَهِيَ ﴿أَقَامْنِمْ وَأَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء: 68] الْآيَةُ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ مِنْ آدَابِ النَّفْسِ فِي الشَّرِيعَةِ تَذَكُّيرُهَا بِنِعَمِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ [إبراهيم: 7] لِيَقُومَ ذِكْرُ النِّعْمَةِ مَقَامَ

معاهدتها ". [التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: 15/ 161 (بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - ما المقصود بـ "الملائم" و"المنافر" في النص؟ وما علاقتهما بشكر النعم؟
- 2 - ما أثر تذكّر نعم الله تعالى على تركية النفس؟

أتأمل الآيات: 70 - 72 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: كَرَّمَاتِ بَيْعِ الدَّمَرِ - يَأْمَلِمِهِمْ - بَقِيَّةً - وَأَخْشِيَةً.
- 2 - كيف كرم الله تعالى الإنسان؟ ولماذا فضله على غيره؟
- 3 - بم تتعلق الباء في قوله تعالى: ﴿يَأْمَلِمِهِمْ﴾؟ وما فائدة تحديد هذا التعلق في توضيح معنى الآية؟